الصباح الإسلامية
09
العدد 2435 - السنة التاسعة
الخميس 29 جمادى الآخرة 1437 - الموافق 7 إبريل 2016
Thursday 7 April 2016 - No.2435 - 9th Year

إعداد : ياسر السيد

صور من حب الصحابة للمصطفى

من سعادة العبد أن يرزقه الله محبة النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن محبته - صلوات الله وسلامه عليه - أصل من أصول الدين، ولا إيمان لمن لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحب إليه من والد وولده والناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾(التوبة:24)، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) رواه البخاري.

قال ابن تيمية: « إن قيام المدحة والثناء عليه - صلى الله عليه وسلم - والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله وسقوط ذلك سقوط الدين كله ».

ومحبة النبي - صلى الله عليه وسلم - الحقيقية ليست مجرد كلمات يرددها اللسان، أو دروس وخطب يتلوها الوعاظ والخطباء، ولا يكفي فيها الادعاء فحسب، بل لا بد أن تكون محبته - عليه الصلاة والسلام - حياة تعاش، ومنهجاً يتبع، وصدق الله إذ يقول: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران:31).

وقد تغير مفهوم محبة النبي - صلى الله عليه وسلم - وانحرف عند البعض، فبعد أن كانت هذه المحبة - عند الصحابة - رضوان الله عليهم - تعني إيثار الرسول - صلى الله عليه وسلم - على كل شيء، وطاعته واتباعه في كل أمر، صار مفهومها عندهم تأليف الصلوات المبتدعة، وعمل الموالد، وإنشاد القصائد والمدائح، وبعد أن كان تعظيم وحب الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتوقيره والأدب معه، صار التعظيم عندهم هو الغلو فيه بإخراجه عن حد البشرية، ورفعه إلى مرتبة الألوهية، وكل ذلك من الوهم والانحراف الذي طرأ على معنى المحبة ومفهومها.

وقد ترجم الصحابة - رضوان الله عليهم - حب النبي - صلى الله عليه وسلم - ترجمة عملية، فبذلوا أرواحهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله، وطاعة وحبا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعبر عن ذلك سعد بن معاذ - رضي الله عنه - حين قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - كما ذكر ابن هشام وغيره في السيرة النبوية: « يا رسول الله، هذه أموالنا بين يديك، خذ منها ما شئت ودع منها ما شئت، وما أخذته منها كان أحب إلينا مما تركته، لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك ما تخلف منا أحد، إنا والله لصبرٌ في الحرب صدق عند اللقاء، فامض بنا يا رسول الله حيث أمرك الله ». فكان لسان حالهم ومقالهم عن النبي - صلى الله عليه وسلم -:

هو المقدم في نفسي على نفسي وأهل بيتي وأحبابي وخلاني

وقد سُئل علي - رضي الله عنه - كيف كان حبكم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟، قال: « كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا، وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ ».

وهذه بعض صور من حُبّ الصحابة - رضوان الله عليهم - للنبي - صلى الله عليه وسلم -:

في غزوة أحد:

تظهرت صور كثيرة من حب الصحابة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بصورة عملية، وذلك حينما حاصر المشركون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه، وخلال هذا الموقف العصيب سارع المسلمون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقاموا حوله سياجاً بأجسادهم وسلاحهم، وبالغوا في الدفاع عنه، فقام أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويرقع صدره ليقيه من سهام العدو، ويقول: « نحري دون نحرك يا رسول الله ».

وأبو دجانة يحمي ظهر رسول الله - - صلى الله عليه وسلم - والسهام تقع عليه ولا يتحرك، ومالك بن سنان يمتص الدم من وجنته - صلى الله عليه وسلم - حتى ارتقاه، وعرضت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - صخرة من الجبل فنهض إليها ليعلوها فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض عليه، فقال - صلى الله عليه وسلم -: (أوجب طلحة) أي الجنة.

وفي صلح الحديبية:

لما قدم عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُود مفاوضا للنبي - صلى الله عليه وسلم - من طرف قريش وحلفائها، قال واصفا ما رآه من حب الصحابة وتعظيمهم للنبي - صلى الله عليه وسلم -: « والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له » رواه البخاري.

أبو بكر:

استأذن أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - النبي - صلى الله عليه وسلم - في الهجرة، فقال له: (لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا)، فلما أذن الله - عز وجل - لنبيه بالهجرة قدم على أبي بكر بخبره بالأمر فقال له أبو بكر: « الصحبة يا رسول الله ». فقال له: (الصحبة)، تقول عائشة - رضي الله عنها -: (فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ) رواه البخاري.

وفي طريق الهجرة كما ذكر ابن القيم في زاد الميعاد، والبيهقي في الدلائل: « أن أبا بكر ليلة انطلق مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الغار، كان يمشي بين يديه ساعة، ومن خلفه ساعة، فسأله، فقال: أذكر الطلب (ما يأتي من الخلف) فأمشي خلفك، وأذكر الرصد (المترصد في الطريق) فأمشي أمامك، فقال - صلى الله عليه وسلم -: (لو كان شيء أحببت أن تقتل دوني؟)، قال: أي والذي بعثك بالحق، فلما انتهيا إلى الغار قال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار، فاستبرأه ».

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: (ابتاع أبو بكر من عازب رحلاً فحملته معه، قال: فسأله عازب عن مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلا فأحببنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة ثم رفعت لنا صخرة فأتيناها ولها شيء من ظل، قال: ففرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة معي ثم اضطجع عليها النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلقت انفض ما حوله، فإذا أنا براع قد أقبل في غنيمة يريد من الصخرة مثل الذي أردنا، فسألته: لمن أنت يا غلام؟، فقال: أنا لفلان، فقلت له: هل في غنمك من لبن؟، قال: نعم، قلت: له: هل أنت حالب؟، قال: نعم، فأخذ شاة من غنمه، فقلت له: انفض الضرع، قال: فحلب كثبة من لبن ومعي إداوة من ماء عليها خرقة قد روأتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، ثم أتيت به النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رضيت، ثم ارتحلنا والطلب في إثرنا) رواه البخاري.

ثوبان:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: 69)، قال البغوي في تفسيره: «نزلت في ثوبان مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان شديد الحب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه، فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (ما غير لونك؟)، فقال: يا رسول الله، ما بي مرض ولا وجع، غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أني لا أراك، لأنك ترفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا، فنزلت هذه الآية ».

النساء:

امرأة من بني دينار في غزوة أحد، أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما نعوهم لها قالت: « ما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ ، قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أروني حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل - أي صغيرة - ».

الشباب:

قال عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -: (بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟، قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟، قال: أخبرت أنه يسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سوادَه، حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها، قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال - صلى الله عليه وسلم -: كلاكما قتله، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح - والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء) رواه البخاري.

لقد كان الدافع من حرص الأنصاريين الشابين على قتل أبي جهل هو حبهما لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونصرتهما له، وذلك لما علماه من أن أبا جهل كان يؤذي ويسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهكذا بلغت محبة شباب الأنصار لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بذل النفس في سبيل الانتقام ممن تعرض للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالأذى.

هكذا ترجم الصحابة - رضوان الله عليهم - كبارا وصغارا، رجالا ونساء، محبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حباً قدموه فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم والناس أجمعين، فأين نحن من ذلك؟!

قُولُوا مَعِي فَخْرًا لِأَعْظَمِ مُرْسَلٍ
بِالشَّرْ بَدَدْ
إِنَّا نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللهِ حُبّاً لَا يَبِيدْ
فَلْتَشْهَدِي يَا أَرْضُ هَذَا وَالسَّمَا
وَالْكَوْنُ يَشْهَدْ

إن محبة النبي - صلى الله عليه وسلم - الصادقة حياة من حُرمها، فهو من جملة الأموات، يقول ابن القيم: « والمقصود أنه بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أنه بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله - سبحانه - علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلاتباعه الهدى والأمن والفلاح، والعزة والكفاية واللذة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة ».

أمهات المؤمنين « رضي الله عنهن »

كثيرةٌ هي الخصائص التي اختص الله بها نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - على غيره من البشر، إظهاراً لقدره ومكانته، وإعلاءً لمرتبته وشأنه، ومنها خصوصية كثرة زوجاته - صلى الله عليه وسلم.

فمن خصائص النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه أبيح له الزواج بأكثر من أربع، قال الشافعي: « دلت سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله أن يجمع بين أكثر من أربع من النسوة ». وقال ابن كثير: « وهذا الذي قاله الشافعي مجمع عليه بين العلماء ». فهذا الحكم من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - التي انفرد به دون غيره من الأمة، وذلك أنه - صلى الله عليه وسلم - معصوم من الجور الذي قد يقع فيه غيره، إضافة لما في زواجه بأكثر من أربع من تحقيق لأهداف وحكم هامة.

ويطلق على زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - أمهات المؤمنين، تكريما لشأنهن وإعلاء لقدرهن، وقد شرفهن الله - تعالى - بذلك فقال: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: من الآية6).. وقد بلغت زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - اللاتي دخل بهن إحدى عشرة، كما ذكر ابن حجر في فتح الباري، وابن القيم في زاد المعاد، وهن كالآتي:

خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها -:

تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي أول امرأة آمنت من هذه الأمة، وبقيت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن أكرمه الله برسالته، فآمنت به ونصرته، فكانت له وزير صدق، ومانت قبل الهجرة بثلاث سنين، ولأم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - خصائص كثيرة اختصت بها، منها: أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يتزوج غيرها، وأن أولاده جميعا كلهم منها إلا إبراهيم - عليه السلام -، وهم القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.

ومن عظيم خصائصها أن الله - عز وجل - بعث إليها السلام مع جبريل - عليه السلام -، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (أتى جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله، هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعام، أو إناء فيه شراب، فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها من ربها السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب (لؤلؤ مجوف)، لا صخب فيه ولا نصب) (البخاري).

سودة بنت زمعة - رضي الله عنها -:

هاجر زوجها السكران بن عمرو إلى الحبشة فتنصر ومات بها كافرا، فزوجه بها والدها زمعة بن قيس.

ومن خصائصها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما أراد طلاقها آثرت عائشة - رضي الله عنها - بيومها ووهبته لها، حبا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإيثارا لبقائها معه فأمسكها، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها - وهي راضية بذلك، مؤثرة لرضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها.

عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنهما -:

تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن خصائصها أنها كانت أحب أزواج النبي إليه، فقد سئل النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أي الناس أحب إليك ؟ ، قال: عائشة، قيل: فمن الرجال ؟ ، قال: أبوها) (البخاري).

ولم يتزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - بكرا غيرها، وكان الوحي ينزل عليه - صلى الله عليه وسلم - وهو في لحافها دون غيرها، ولما أنزل الله آية التخيير: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾(الأحزاب:28)، بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - بها فخيرها فقال: (ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، فقالت: أفي هذا أستأمر أبوي؟، فإني أريد الله ورسوله) (البخاري)، فاقتدى بها بقية أزواجه - صلى الله عليه وسلم - وقلن كما قالت.

ومن خصائصها أن الله برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في براءتها وحيا يتلى إلى يوم القيامة.. وقد توفي النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيتها، وعلى صدرها، ودفن في حجرتها.

وكان الأكابر من الصحابة - رضي الله عنهم - إذا أشكل عليهم أمر من الدين استفتوها، فيجدون علمه عندها..

حفصة بنت عمر - رضي الله عنهما -:

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكانت قبله عند خنيس بن حذافة وكان من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهد بدرا وأحدا، وأصيب في أحد بجراح مات منها، فتزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم -...

ومن خصائصها - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - طلقها، فأتاه جبريل فقال: (إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة) (الطبراني)..

أم حبيبة - رضي الله عنها -:

هي رملة بنت صخر بن حرب، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصر بها، فتزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يخطبها، وولي تزويجها عثمان بن عفان - رضي الله عنه -...

وهي التي أكرمت فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجلس عليه أبوها قبل إسلامه وقالت: إنك مشرك، ومنعته من الجلوس عليه..

أم سلمة - رضي الله عنها -:

هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة، كانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد - وكانت - رضي الله عنها - من النساء العاقلات الناضجات، يشهد لهذا ما حدث يوم الحديبية..

قال الإمام ابن حجر: « .. وإشارتها على النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها ».

وقد أخذت أم سلمة حظاً وافراً من أنوار النبوة وعلومها، حتى غدت ممن يُشار إليها بالبنان فقها وعلما، وكانت آخر أمهات المؤمنين موتا..

زينب بنت جحش - رضي الله عنها -:

هي زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة وطلقها، فزوجها الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم - من فوق سبع سماوات، وأنزل قوله - تعالى -: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (الأحزاب: من الآية37)..

وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتقول: (زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماواته) (البخاري)، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع..

زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها -:

هي زينب بنت خزيمة الهلالية، وكانت تحت عبد الله بن جحش - رضي الله عنه - الذي شهد بدرا وقتل يوم أحد - تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنة ثلاث من الهجرة، وكانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين، وعاشت ثمانية أشهر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم توفيت، وقد صلى عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودفنها بالبقيع.

جويرية بنت الحارث - رضي الله عنها -:

تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جويرية بنت الحارث من بني المصطلق سنة ست من الهجرة، وتوفيت سنة ستة وخمسين، وهي التي أعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكان ذلك من بركتها على قومها - رضي الله عنها -...

صفية بنت حيي - رضي الله عنها -:

تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - صفية بنت حيي سنة سبع بعد غزوة خيبر حيث سبيت فيها، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق، توفيت سنة ست وثلاثين، وقيل سنة خمسين، ومن خصائصها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعتقها وجعل عتقها صداقها، قال أنس - رضي الله عنه -: (أمهرها نفسها) (البخاري)..

ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها -:

أشار العباس - رضي الله عنه - على النبي - صلى الله عليه وسلم - بزواجها، فتزوجها مواساة لفقر زوجها، واعترافا بفضلها، وتحبيبا لقومها في الإسلام، وقد تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - وبنى بها بسرف (مكان قرب مكة)، ومانت بسرف، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين، وهي خالة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -...

وكانت - رضي الله عنها - مثالاً عالياً للصلاح والتقوى، حتى شهدت لها أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بقولها: « .. أما أنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم ».

وقد روت عدداً من الأحاديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كان منها صفة غسله - صلى الله عليه وسلم -...

هؤلاء جملة من دخل بهن من النساء، وهن نساؤه - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا والآخرة، وقد عاشت زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - أمهات المؤمنين في غرفهن الصغيرة بجوار المسجد النبوي، يستمعن لأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ويشتركن في بيان تعاليم الإسلام وأحكامه - خاصة في شئون المرأة -، ثم لهن حياتهن الخاصة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - الحافلة بالعبادة والعلم، المليئة بالدروس والعبر، الدافقة بالخير والعطاء..

وقد توفيت اثنتان منهن في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهما خديجة وزينب بنت خزيمة - رضي الله عنهما -، وتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن تسع منهن، ودفن جميعا في البقيع بالمدينة المنورة، ما عدا خديجة - رضي الله عنها - فدفنت في الحجون بمكة، وميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - دفنت في سرف قريبا من مكة.

لقد عاش النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الخامسة والعشرين من عمره في بيئة جاهلية، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج حوله، كما أنه تزوج من خديجة - رضي الله عنها - ولها ما يقارب ضعف عمره، حتى تجاوز مرحلة الشباب، وقد ظل هذا الزواج قائما حتى توفيت عن خمسة وستين عاما، وقد قرب النبي - صلى الله عليه وسلم - من الخمسين من عمره، دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تقوى فيه الدوافع لذلك، لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يفكر في أن يضم إليها - رضي الله عنها - مثلها من النساء زوجة أو أمة، ولو أراد لكان الكثير من النساء والإماء طوع بنانه، وهو أمر طبيعي في هذه البيئة.

ومن ثم فكثرة زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن بهدف التمتع وإشباع الشهوة، وإن كان ذلك أمرا فطريا سائغا لا يعاب الإنسان به، وقد كان ذلك سائدا بين العرب آنذاك، وقد عدد الأنبياء قبله - صلى الله عليه وسلم -، ومع ذلك فإن هدف النبي - صلى الله عليه وسلم - من زواجه كان أسمى من ذلك وأعلى..

ففي زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - كثير من الحكم التشريعية والإنسانية والتعليمية، إضافة إلى ما يتعلق بمصلحة الدعوة وتبليغ الرسالة..

فقد حرص في بعضها - صلى الله عليه وسلم - على توثيق الرابطة بين الإسلام وبعض القبائل، كما حدث عندما تزوج بجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، الذي كان من آثاره إسلام جميع قبيلتها، وكزواجه من أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان - وصفية بنت حيي بن أخطب..

وهدف في بعضها الآخر تكريم أرامل الشهداء الذين ماتوا في الحبشة، أو استشهدوا من أجل الدعوة في سبيل الله، وتركوا أرامل لا يقدرون على تحمل أثقال الحياة وأعبائها الجمة، مثل أم سلمة - وزينب بنت خزيمة، وسودة بنت زمعة..

وكان في بعضها الآخر زواجا تشريعيا كزواجه - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش وذلك لهدم نظام التبني الذي كان موجودا عند العرب.. ومنها توثيق أواصر الترابط بينه وبين صاحبيه الجليلين أبي بكر وعمر - وتكريمهما بشرف المصاهرة به، وذلك ظاهر في زواجه - صلى الله عليه وسلم - بعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر - رضي الله عنهم -...

وثمة أمر آخر هام وهو أن الإسلام - الذي هو خاتم الأديان - بحاجة إلى من يبلغ أحكامه الشرعية الخاصة بالنساء وهي كثيرة، وزوجة واحدة لا تستطيع القيام بهذا العبء وحدها، فالأمر أكبر من ذلك بكثير، وقد ذكر رواة السنة أن نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - روين أكثر من ثلاثة آلاف حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.. ومن ثم فقد ساهمت أمهات المؤمنين خاصة - عائشة وأم سلمة - مساهمة فعالة في نقل السنة النبوية، وهي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله - إلى الأمة الإسلامية..

وقد ذكر الإمام ابن حجر في فتح الباري حكما كثيرة للعلماء من استخاره - صلى الله عليه وسلم - من الزوجات، أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.. ثانيها: لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.. ثالثها: الزيادة في تألفهم لذلك.. رابعها: لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه.. خامسها: نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله.. سادسها: الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها بعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها - فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن.. سابعها: تحصينهن والقيام بحقوقهن..

ومن ثم فإن لكل من زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمهات المؤمنين حكمة وسبب، يزيدان في إيمان المسلم بعظمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ورفعة شأنه وكمال أخلاقه..